قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (النحو الوظيفي) سنة ثانية ليسانس، تخصص: دراسات نقدية

إعداد الأستاذة: هندة كبوسي

عنـــوان المحاضرة: المدرسة الوظيفية التداولية

المدرسة الوظيفية التداولية:

نظرية النحو الوظيفي لسيمون ديك وتمثلها العربي:

تعد نظرية النحو الوظيفي لسيمون ديك من النظريات اللسانية الحديثة التي واكبت تطوّر نماذج النظرية التوليدية التحويلية، وأفادت كثيرا من بعض الأنحاء ذات الطابع غير التوليدي التحويلي كنظرية الوجهة الوظيفية للجملة والنظرية النسقية.

- ترجع أصول هذه النظرية إلى مدينة أمستردام الهولندية مع مؤسسها الأول سيمون ديك من خلال أبحاثه المتعددة التي رسم بها الإطار النظري والمنهجي العام للنظرية، وقد استطاع المشتغلون على هذه النظرية أن يقدّموا دراسات لغوية متنوعة مسّت مجال الدلالة

والتداول والمعجم والتركيب في لغات مختلفة تنتمي إلى فضائل متباينة نمطيا، وقد تمكّنت من خلالها أن تؤسس لنفسها مكانة علمية متميزة بين النظريات اللسانية المعاصرة، وقد أصبحت الوريث الشرعي للنظريات النحوية الوظيفية قبلها، وتطمح منذ الثمانينات أن تكون بديلا عن النظرية التوليدية التحويلية بكل نماذجها.

-النّحو الوظيفي واللغة العربية:

نقل هذه النظرية إلى العربية أحمد المتوكل المغربي، وقام في كثير من كتاباته بمحاولة وصف وتفسير كثير من قضايا اللغة العربية منظورا إليها من وجهة النّحو الوظيفي، ويبرّر المتوكّل اختياره للنحو الوظيفي دون غيره من الأنحاء قائلا: "يعدّ النّحو الوظيفي (Functional Grammar) الذي اقترحه سيمون ديك في السنوات الأخيرة، في نظرنا النظرية الوظيفية التداولية الأكثر استجابة لشروط التنظير من جهة، ولمقتضيات النمذجة للظواهر اللغوية من جهة أخرى، كما يمتاز النحو الوظيفي عن غيره من النظريّات التداولية بنوعيّة مصادره، فهو محاولة لصهر بعض مقترحات نظرية لغوية (النحو العلاقي) (Relational Grammar) نحو الأحوال (Case Grammar) الوظيفية (Functionalism)، ونظريات فلسفية (نظرية الأفعال اللغوية) (Speechacts theory) خاصة، أثبّتت قيمتها في نموذج صوري، مصنوع حسب مقتضيات النمذجة في التنظير اللساني.

يذكر المتوكل أن هذه النظرية دخلت العالم العربي أول ما دخلت عبر جامعة محمد الخامس بالرباط، حيث شكلت (مجموعة البحث في التداوليات واللسانيات الوظيفية) وبفضل جهود الباحثين المغاربة المنتمين إلى هذه المجموعة تسنّى للمنحى الوظيفي أن يأخذ محلّه في البحث اللساني المغربي إلى جانب مكوّناته الأخرى، وقد تمّ ذلك عن أربع طرق رئيسية هي التدريس والبحث الأكاديمي والنشر وعقد ندوات دولية داخل المغرب نفسه.

هدف المتوكل منذ 1982 إلى يومنا هذا إلى تأسيس نحو وظيفي للغة العربية يتناولها في جميع مستوياتها، من خلال فهم المنجز اللغوي التراثي وبالاطلاع الجيّد عليه والإحاطة بمنطلقاته، ومقارنته بالنظريات التداولية الحديثة، مما جعله يتوصل إلى نتيجة مفادها أن النظرية..... خلف مختلف العلوم اللغوية العربية (النحو، اللغة، فقه اللغة، البلاغة، التفسير...) نظرية تداولية، وأنها بالتالي قابلة للتحاور مع النظريات التداولية الحديثة بما فيها نظرية النحو الوظيفي.

وقد تمكّن المشتغلون على نحو اللغة العربية الوظيفي من تحقيق:

أولا: وضع نحو وظيفي متدرّج للغة العربية بتطور النظريّة العامة.

ثانيا: المشاركة في التنظير العام بتعديل النماذج القائمة واقتراح نماذج جديدة.

ثالثا: فتح النظرية الوظيفية على مجالات وحقول اجتماعية واقتصادية حيوية إلى جانب الدرس اللساني الوظيفي (تعليمة اللغات، تحليل الخطاب، الترجمة...).

2-مبادئ النحو الوظيفي:

2-1-النحو الوظيفي: النظرية والمنهج:

2-1-1-الفرضيات الكبرى: سنعرض في هذا الجزء المبادئ المنهجية العامة التي اعتمدها النحو الوظيفي، والتي تشكل في مجملها زمرة من الافتراضات عن اللسان الطبيعي، يمكن حصرها فيمايلي:

أ-وظيفة اللغة: ..... النحو الوظيفي مبدأ أساسيا مفاده أنّ الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية تنحصر في إتاحة التواصل بين مستعمليها، وتتجلى أساسيّاتها على الإنجاز اللغوي عموما، فلا يمكن بحال من الأحوال أن تحجب الوظيفة التواصلية، من ذلك أنّ هيمنة الوظيفة الشعرية على نص ما لا يمكن أن تؤدي إلى إخلائه من وظيفته التواصلية، وإذا كانت اللغة منوطة بهذه الوظيفة داخل المجتمعات البشرية، وكانت تشكل بنية أو نسقا من الخصائص الصورية (صوتية، صرفية، تركيبية، معجمية...)؛ أي إذا كانت اللغة بنية وأداة، فإنّ بنيتها تابعة لوظيفتها.

ب-البنية والوظيفة: يستصدر النحو الوظيفي فرضيّة مفادها أنّ البنية والوظيفة عنصران متلاحمان متعالقان، وأن البنية تابعة للوظيفة، وتنجم عن هذا الافتراض زمرة من المسائل أهمها:

*الخصائص البنوية للعبارات اللغوية تعد تجلّيات لخصائصها الدلاليّة والتداولية انطلاقا من أنّ الفئة الأولى من الخصائص وسائل للتعبير عن الفئة الثانية.

من أمثلة ذلك أنّ للقوة الإنجازية المستلزمة مقاميا ورودا في تحديد الخصائص البنوية للعبارة اللغوية، فحرف الجر "من" الذي كان يقال عنه في النحو العربي القديم إنه حرف زائد يرتبط استعماله بالقوة الإنجازية المستلزمة، حيث إنه لا يظهر إلا في الجمل الإستفاهمية المستلزمة معنى النفي: –هل آزرني من قريب إذ كنت حزينا؟! = القوة المستلزمة.

*إذا كانت البنية والوظيفة على هذا المستوى من التعالق، فإنه يصبح من مهام النفي الوصف اللغوي الذي يطمح إلى الكفاية أن يرصد خصائص العبارة اللغوية البنوية، وخصائصها الدلالية والتداولية، ومجمل التعالقات الحاصلة بين المجموعتين من الخصائص.

*انسجاما مع مبدأ الاتّساق الذي يقتضي أن يكون تنظيم النحو تابعا للفرضيات الكبرى، وسعيا في بلوغ الكفاية المثلى، يفترض في الجهاز الواصف أن يكون مبنيا بالشكل الذي يخول له التمثيل للخصائص الدلالية والتداوليات في مستوى البنية التحتية (العميقة) وللخصائص البنوية في مستوى متأخر من مستويات الاشتقاق في البنية المكوّنية (السطحية)، وأن يتم الربط بين هذين المستويين بواسطة نسق من القواعد تتخذ خلالها المعلومات المتوافرة في البنية التحتية عن الخصائص الدلالية والتداولية، وبهذه التركيبة يكون بإمكان النموذج أن يرصد علاقة التبعيّة التي تربط البنية بالوظيفة.

جـ–موضوع البحث اللساني: من الفرضيّات الكبرى المعتمدة داخل هذا الإطار النظري أنّ موضوع البحث اللساني هو "القدرة التواصلية"، وقد كتب الكثير عن أصول هذا المصطلح وطبيعته ومقوّماته، فهايمز (هايمز 1982) يعزو ظهوره إلى تلاقح اتجاهين متنافرين) النحو التوليدي التحويلي وإثنوغرافيا التواصل لاشتراكهما في التنقيب عن أنماط الطاقات المتوافرة لدى مستعملي اللغات الطبيعية، في السياق ذاته يعد ورود مصطلح "قدرة" عند تشومسكي (1965) من جملة الأسباب التي أوحت إليه بابتداع مصطلح "القدرة التواصلية" علما بأنّ هايمز لا يقصر أبحاثه على المعرفة النحوية بل يزاوج بينهما وبين المعرفة غير النحوية أو التواصلية (هايمز 1972: 1983–1989–1994)، التي تتضمن العوامل اللسانية– النفسية والتعالقات المختلفة القائمة بين العبارات اللغوية، وأسيقة ورودها ومجموع الطاقات التي يختزنها المتكلم والتي تسعفه في تحليل احتمالات ورود أنماط الجمل اللغوية أو ندرة ورودها.

1–تصور تشومسكي الذاهب إلى أن القدرة قدرتان: "قدرة نحوية" صرف و"قدرة تداولية" وقد شكلت الأولى محطّ عنايته وأرجأ الخوض في مضمون القدرة التداولية إلى حين وضع "نظرية للإنجاز".

2–تصور الوظيفيين (والتداوليين بوجه عام) القاضي بأنّ القدرة اللغوية قدرة واحدة تجمع بين النحو والتداول. وقد حدّها ديك (ديك 1989) بأنها ما يمكّن مستعملي اللغة الطبيعية من التواصل فيما بينهم بواسطة العبارات اللغوية أي ما يمكنهم من التفاهم والتأثير

في خزينتهم المعلوماتية (المعارف، العقائد، التصورات، الأفكار المسبقة، الإحساسات)، والتأثير حتى في سلوكهم الفعلي متوسّلين باللغة.

وقد افترض ديك (ديك 1989) أن تتشكل القدرة التواصلية من زمرة من الملكات مشرعا بذلك إقامة نموذج تمثيلي لمستعمل اللغة الطبيعية؛ وحصرها في خمس ملكات على الأقل، وهي:

أ-**الملكة اللغوية:** تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج وتأويل عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة جدا ومعقدة جدا، في عدد كبير من المواقف التواصلية.

ب-الملكة المنطقية: تسعف مستعمل اللغة الطبيعية على اعتباره مزودا بمعارف معينة، في اشتقاق معارف أخرى متوسلا بقواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي.

جـ-الملكة المعرفية: تختص بتزويد مستعمل اللغة الطبيعية برصيد من المعارف المنظمة، وبفضلها يستطيع أن يشتق معارف من العبارات اللغوية كما يستطيع أن يختزن هذه المعارف في الشكل المطلوب، وأن يستحضرها لاستعمالها في تأويل العبارات اللغوية.

د-الملكة الإدراكية: تُخوّل لمستعمل اللغة الطبيعية أن يدرك محيطه وأن يشتق من هذا الإدراك معارف يستطيع استخدامها في إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها.

هـ-الملكة الاجتماعية: يتّخذها مستعمل اللغة الطبيعية وسيلة لمعرفة وضبط الكيفية التي ينبغي أن يخاطب بها مخاطبا معيّنا في موقف تواصلي معين، قصد تحقيق أغراض تواصلية محدّدة.

في السياق ذاته فكر المتوكل (1995) في إضافة ملكة سادسة سماها "الملكة الشعرية" وأطلق عليها البوشيخي (1997) اسم الطاقة التخييلية، وتنحصر وظيفتها في رصد البنيات الشرطية والمجازية والاستعارية والكنائية والبنيات الرمزية.

و-الملكة الشعرية: تتكفل بتزويد مستعمل اللغة الطبيعية بما يتطلبه من إنتاج وتأويل العبارات اللغوية ذات الطابع الشعري.

ويردف المتوكل موضحا أنّ إضافة هذه الملكة آيل إلى اعتبارها جزءًا من قدرة مستعمل اللغة الطبيعية بوجه عام، وليست حكرا على أشخاص معينيين، تبعا لهذا ستصبح دراسة "الخطاب الأدبي" منضوية في الوصف اللغوي العام أي موضوعا من مواضيع النحو (بمفهومه الواسع).

-**هدف البحث اللساني:** من الأدوات الكفيلة بصياغة الأنحاء الوظيفية وتطويرها تلك التي تتعلق بمعايير الكفاية، فهي في ذات الوقت مطامح تتوق النظريات إلى .....، وضوابط تتم بمقتضاها المفاضلة بينها.

وقد اقترح ديك نمطين من معايير الكفاية:

-معيار الكفاية الوصفية (بالمفهوم التشومسكي).

-ومعيار الكفاية التفسيرية.

وتتفرع عن هذا الأخير أصناف الكفايات التّالية:

- الكفاية النفسية.
- الكفاية التداولية.
- الكفاية النمطيّة.

وبالنظر إلى التعالق القائم بين اللسانيات والحاسوبيات ارتأى الوظيفيون (ديك وكونولّلي) وآخرون إضافة كفاية ثالثة إلى الكفايتين الوصفية والتفسيرية تدعى "الكفاية الحاسوبية".

-**الكفاية النفسية:** يمكن لنحو ما أن يرقى إلى مستوى الكفاية النفسية إذا ارتبط كما يقول ديك (1989) أكثر ما يمكن بالنماذج النفسية للقدرة اللغوية والسلوك اللغوي، وتنقسم النماذج النفسية بطبيعتها إلى نماذج إنتاج، ونماذج فهم، أما نماذج الإنتاج فتحدد الطريقة التي يتبعها المتكلمون في بناء وصياغة العبارات اللغوية. وأما نماذج الفهم فتخصص الكيفية التي يدرك بها المخاطبون العبارات اللغوية ويؤولونها.

مفاد هذا النحو لا يمكن أن يحقق هذا المستوى من الكفاية إلا إذا كان يتضمن نموذج إنتاج يوضح الكيفية التي يتم بها بناء العبارات اللغوية. ونموذج فهم يوضح الكيفية التي تتّم بها معالجة العبارات اللغوية، وزمرة من الأدوات والمبادئ التي يتوسل بها في كل من نموذج الإنتاج، ونموذج الفهم.

تبعا لهذا وتحقيقا لهذا المبتغى، أقصى النحو الوظيفي القواعد التحويلية، أي العمليات المغيرة للبنية لأنها لا تستجيب لمبدأ الواقعية النفسية، فعُدّ نحوا غير تحويلي، لأنه يلجأ إلى وسائل أخرى للربط بين البنية التحتية وبين البنية السطحية للعبارات اللغوية. وسعيا في تحصيل هذه الكفاية تم بناء النحو على أساس تضمنه لجهازين اثنين جهاز توليد (مولد) بمصطلح الحاسوب، وجهاز تحليل (محلل).